قسم

الواقع الأدبي

المجمع 17 (2022/1443)، 453-458

الانعكاسات السلبيّة والإيجابيّة على اللّغة العربيّة في الأدب الرّقمي

خليل عودة[1]

أصبح الأدب الرّقمي واقعاً يفرض نفسه على المبدع والمتلقي على حد سواء، وجاء ذلك استجابة طبيعية للتصاعد التقني والتكنولوجي في شتى مجالات الحياة، وهنا تتغير لغة النص تبعاً لتغير طريقة العرض وكيفية التقديم، إذ لا يمكن أن تكون اللغة في المنتج الإلكتروني هي نفسها التي كانت في المنتج الورقي، والفارق هنا ليس في اللغة نفسها، وإنما في كيفية تقديم اللغة والعلاقات المتبادلة بين اللغة، والوسائط الإلكترونية التي يعتمدها النص في كيفية تقديم الفكرة ومحاولة التأثير في المتلقي، وفي هذا السياق نتحدث عن مرحلة جديدة من مراحل توظيف اللغة، وعلاقاتها الجديدة بالوسيط الإلكتروني، وهي مرحلة تفرض نفسها على المنتج الأدبي الذي تطور مع تطور وسائل الاتصال الرّقمي، وهنا نتحدث عن منتج أدبي جديد في عالم الشعر والرواية والمسرحية وغيرها من الأعمال الأدبية الورقية، التي كانت فيها اللغة محور النص البصري، وفيها يتفاعل القارئ مع اللغة المكتوبة التي تحمل شحنات فكرية وعاطفية، تتفاعل فيها ومعها اللغة المقروءة، وهذا يختلف تماماً مع النص الرّقمي، الذي تتشكل فيه اللغة، وتتفاعل فيه معها عناصر غير لغوية، وهنا يكون التنافس واضحاً بين مكونات اللغة في النص، ومكونات الوسائط المتعددة المصاحبة للغة، والتي يتشكل منها النص الرّقمي "فلم يعد كافياً أن يمسك الروائي بقلمه ليخط على الورق، لأن الكلمة لم تعد الأداة الوحيدة، إذ يجب عليه أن يلم ببرامج الحاسوب وفن الرسوم المتحركة، والإخراج السينمائي وفن كتابة السيناريو والمسرح"[2]

وتبعاً لذلك لم يعد النص الرّقمي ذا طبيعة لغوية خالصة، وإنما تتقاسم عناصر أخرى مكونات المعنى، والدلالات المصاحبة له، فإذا كانت الصورة البلاغية تعتمد في تشكيلها

[1] جامعة النجاح الوطنية – فلسطين.

[2] سمر الديوب. الأدب الرّقمي سماته وجمالياته، **اتحاد الكتاب العرب** مج 45، ع 37ب، 2016، 72.

النصي عناصر لغوية تجمع أطراف الصورة، وتجعل القارئ يتخيلها من خلال قدرة الكلمات النصية على الإيحاء، فإن الصورة البلاغية في الأدب الرّقمي، لا تعتمد مكونات اللغة وحدها، وإنما تعتمد عناصر بصرية أو تصويرية تغني القارىء عن التمثيل اللغوي المعتمد أصلاً في النص المكتوب، فإذا شبه امرؤ القيس الليل بأمواج البحر في قوله:

وليل كموج البحر أرخى سدوله عليّ بأنواع الهموم ليبتلى

نجد اللغة وحدها تتولى عملية الإرسال للمتلقي، وأيضاً عملية الاستقبال التي يتمثلها المتلقي في العلاقات اللغوية بين الليل وموج البحر، والدلالات العاطفية والنفسية التي تحملها هذه الكلمات، غير أن الأمر قد يختلف في عملية التشكيل الرّقمي، عندما يضع المبدع النص اللغوي مصحوباً بعناصر تصورية وصوتية، تقلل من تفاعل المستقبل مع المؤثرات اللغوية، والدلالات المصاحبة لها، وتجعله أكثر تفاعلاً مع الوسائط المتعددة المصاحبة للغة، فهو يضع الليل مقابل صورة بصرية للبحر، وأمواجه المتدافعة، في مشهد تعبيري يتجاوز النص اللغوي، إلى مشهد تمثيلي حركي، يجعل الليل حاضراً في الصورة التعبيرية، ولا شك أن المؤثرات البصرية أو السمعية، قد تفوق مؤثرات اللغة القراءية فمن غير شك "أن الطبيعة الرمزية المصورة بأجناسها كافة، هي التي دفعت إلى القول بأن صورة واحدة تساوي ألف كلمة"[1]

وهنا لا يوجد نص يحمل فكرة مجردة، ولكن يوجد نص يحمل تشخيصاً لهذه الفكرة في قالب جديد، تتشكل فيه الصورة من عالم الحواس، ومعنى ذلك أن عملية تشكيل الصورة البلاغية أو إنتاج المعنى فيها، لا يعتمد على مجرد تشكيل لغوي، وإنما يجعل اللغة عنصراً من عناصر التشكيل وليس عنصراً وحيداً في عملية التشكيل "ففي النصوص الورقية كانت الكلمة المطبوعة وسيلة النص الوحيدة، فكان الحكم على القيمة الجمالية للنص من خلال لغته وأسلوبة ومدى براعة الكاتب في استخدام الصور الفنية المعبرة من استعارة

[1] محمود العبد، الصورة والثقافة والإيصال، **مجلة فصول** العدد 62، 2003، 133.

وكناية ومجاز وغيرها من أساليب البلاغة ... لكن النص الرّقمي أضاف معايير أخرى جديدة لم تكن معروفة من قبل"[1].

إذن نحن أمام لغة ذات مواصفات جديدة في تشكيل الأدب الرّقمي، هي لغة المعلوماتية، أو اللغة الرّقمية المصاحبة للأدب الرّقمي، وهو أدب تتجاوز فيه اللغة أدبية اللغة، إلى فن صناعة الأدب بما فيه اللغة، والوسائط المتعددة المصاحبة للغة، وهي وسائط ذات تأثير فاعل، يشارك اللغة الأدبية عملية التصوير والتوصيل، وتجعل اللغة عنصراً مشاركاً ومؤازراً، وليس عنصراً فاعلاً ووحيداً، والمتلقي لا يستقبل في النص الرّقمي مجرد كلمة، وإنما يستقبل أيضاً وسائط أخرى، وعليه اكتشاف طبيعة هذه الوسائط ومؤثراتها، وعلى المتلقي أيضاً أن يتفاعل مع كل هذه المؤثرات اللغوية وغير اللغوية، وهي في مجموعها تشكل ثقافة عامة "إن تجديد الكتابة واللغة لتتلاءم مع الوسائط المتعددة هو رهان أي تطور في عصرنا الحالي، لأنه يضع أي أمة مباشرة أمام مطابقة تفكيرها وأدوات هذا التفكير مع الوسائط الجديدة، باعتبارها ليس فقط أدوات ووسائل، ولكن أيضاً طرائق للتفكير وشكلاً من أشكال الثقافة"[2].

إذن اللغة تمر الآن في منعطف تاريخي يفصل ما بين العصر الكتابي، والعصر الرّقمي، وهي مرحلة تفرض على اللغة متطلبات جديدة، تتجاوز فيها النمط التقليدي في عملية الكتابة والإبداع، الى حالة جديدة من حالات المنافسة مع عناصر تعبيرية أخرى ليست لغوية، لكنها مؤثرة وفاعلة في عملية التوصيل والتفاعل مع المتلقي، وهي لغة تفقد كثيراً من خصائصها التي اكتسبتها سابقاً من خلال التوظيف الكتابي "اللغة في النص الرّقمي لم تعد تللك اللغة المعروفة المكونة من حروف ومفردات وتراكيب، بل أصبحت لغة النص هي مزيج كل ما يتضمنه من لغة مكتوبة ومسموعة ومصورة ومرسومة ثابتة كانت أم متحركة، ولكننا

[1] إيمان يونس، الأدب الرّقمي العربي: الواقع، التحديات، الآفاق، **مركز جيل البحث العلمي**، ع 58، 2020، 39.

[2] سعيد يقطين، **النص المترابط، مستقبل الثقافة العربية** (المغرب: المركز الثقافي العربي، د.ت)، 58.

إذا نظرنا إلى اللغة المجردة في النص الرّقمي، وجدناها لغة سهلة جاذبة ومكثفة، تتناص مع التقنيات السمعية والبصرية، وتتضافر معها لتكمل بناء النص وصياغة خطابه"[1].

والحديث هنا يدور عن نص جديد ولد من رحم التكنولوجيا، وهو نص غير ورقي، وغير تقليدي، يتشكل من عناصر جديدة، تظهر فيها اللغة أحياناً، وتختفي أحياناً أخرى، وقد تسيطر المؤثرات البصرية أو السمعية على اللغة العربية في تقديم المعنى وإيصاله إلى المتلقي بطريقة جديدة لم تألفها اللغة العربية من قبل عندما كانت اللغة تستخدم قدراتها التعبيرية في التأثير على المتلقي، وحمله على التفاعل مع المكونات البلاغية أو المحسنات البديعية التي تحملها الدلالات التعبيرية في اللغة، غير أنها تفقد كثيراً من خصائصها في النص الرّقمي الذي يعتمد على هذه المؤثرات التي تضعف من دور المبدع في عملية التشكيل والتوصيل على حد سواء، فكاتب النص الرّقمي قد يوظف اللغة توظيفاً شكلياً، وليس بالضرورة أن يعتمد التشكيل التقليدي في الاستخدام اللغوي، فهو يتلاعب أحياناً في حجم الكلمات، فيجعلها تكبر أو تصغر بما يخدم المعنى الذي يريد إيصاله للمتلقي، وقد يلون الكلمات بألوان تعكس المعنى الذي يريده، وقد يعطي الكلمة أو الجملة دلالات صوتية مصاحبة، فهذه الوسائط المستخدمة في النص، والتي تصاحب اللغة، تضع المتلقي أمام خيارات جديدة غير معتادة لدى قارئ اعتاد التعامل مع نص لغوي فقط، وهنا يأتي دور المنافسة بين اللغة، وبين الوسائط المتعددة المصاحبة للغة، مما يعني أن اللغة العربية اليوم تواجه مشكلة في تواصلها مع القارئ الذي قد ينشغل عنها أو يتجاهلها على حساب مكونات تعبيرية أخرى، تكون أكثر جذباً وتأثيراً، وهذا بالتأكيد ينعكس على عملية قراءة النص، وكيفية الانتقال من نص مكتوب، إلى مكونات جديدة في التعامل مع النص، وكيفية قراءته "في هذا النوع يكون حضور الصوت والصورة والأشكال الجغرافيكية مكملاً للنص المكتوب، ومعبئاً للتغيرات التي تتركها الطباعة أحياناً، بحيث يؤدي تعطل أحدها إلى تعطيل النص كاملاً، إن هذا الدمج والتفاعل

[1] علي بن أحمد زعله. **النص الرّقمي بين الانتاج والتلقي، قراءة في التشكيل الجمالي والدلالي**، المؤتمر الدولي الخامس للغة العربية، 165.

بين النصوص المكتوبة والصور والأصوات في هذا النوع من أنواع (النص المتفرع) يساعد على قراءته قراءة غير خطيه تتجاوز الثوابت المتعارف عليها في القراءات التقليدية"[1].

والسؤال الذي يطرح نفسه أمام هذا الواقع الجديد، يدور حول محاولة توصيف الحضور اللغوي في النص الرّقمي، و مكانة اللغة فيه، ودورها في تقديم المعنى، و قدرتها على التأثير في المتلقي، والجواب بلاشك يؤكد حضور اللغة، لأنه ببساطة لا يوجد نص دون لغة، غير أن وجود اللغة في النص الرّقمي انتقل من المركز إلى الهامش، وهذا بالضرورة لا ينقص من قيمة اللغة ودورها في العملية الإبداعية، إذ لا يمكن القول بموت اللغة في محاكاة موت المؤلف، لأن موت اللغة يعني موت أصحابها، وتبقى الحقيقة التي تفرض نفسها على الواقع اللغوي الجديد تتشارك فيها اللغة مع عناصر أخرى غير لغوية في عملية الإبداع الأدبي، ومدى قدرة الوسائط المتعددة على مزاحمة اللغة لأخذ دورها في عملية التوصيل والتواصل، وهذا الدور يفرض على المبدع الرّقمي "أن يتجاوز النظام اللغوي إلى نظام تقني في عملية الإبداع، الأمر الذي يتطلب منه التعرف والتمرن على تقنيات الحاسوب فينصرف همه إلى التقنية بدل اللغة"[2] والأمر ينسحب على المتلقي الذي يحاول الإلمام بالتقنيات الحديثة بما لا يتوافق مع عملية التلقي التقليدية التي اعتمدت اللغة أساسا في عملية التلقي والتواصل مع النص، وهنا نجد أنفسنا أمام حالة جديدة من حالات التواصل اللغوي يتجاوز فيها المبدع حدود اللغة الفنية والصور البلاغية إلى أنماط جديدة من التعبير لا علاقة لها باللغة ووسائل التعبير التقليدية وكيفية توظيفها وفق أسس ومعايير درج عليها أصحاب اللغة، وشكلت عندهم مرتكزا أساسيا في عملية الإبداع، وخلق روح المنافسة في توظيف اللغة، وتشكيل النص الادبي، وهذا انعكس، بطبيعة الحال، على المتلقي الذي انصرف إلى اهتمامات جانبية، مما يعني سيطرة الوسائط المتعددة المستخدمة في النص على وجدان المتلقي وتفكيره، وهذا جعل كثيرا من الدارسين يحذرون من مغبة الانسياق وراء هذه الوسائط على حساب اللغة.

[1] فاطمة البريكي، مدخل إلى الأدب التفاعيل، ط1 (الدار البيضاء-المغرب: المركز الثقافي العربي، 2006)، 24.

[2] آمنة بلعلي، **خطاب الأنساق- الشعر العربي في مطلع الالفية الثالثة** (بيروت: د.ن.، 2014)، 104.

ومع التقدم السريع والمتسارع نحو الرقمنة في الأعمال الأدبية عالميا وعربيا، فإن هذه الأعمال بحاجة إلى مراجعة لغوية في محاولة لتقييم وضع اللغة فيها، إذ لا يمكن التماهي مع الوسائط السمعية والبصرية على حساب اللغة، وعلى مجامع اللغة العربية أن تطور نفسها ذاتيا، وأن تتابع مستويات اللغة العربية في الأعمال الأدبية الرّقمية، وكيفية تقديمها واستقبالها، بما يحقق التوازن المطلوب بين اللغة باعتبارها المكون الأساس للنص الأدبي، والوسائط التكنولوجية باعتبارها وسائل مكملة للغة، وليست بديلا عنها أو منافسا لها، لأن اللغة يجب أن تظل المحرك الأساس في عملية الإبداع، والعنصر الأهم في عملية التلقي.

وهنا لا يمكن أن نتصور صراعا بين لغة الادب واللغة الرّقمية، أو الانحياز لأحدهما على حساب الآخر، ولكن يمكن أن نتصور واقعا جديدا يفرض نفسه على المبدع والمتلقي في التعامل مع لغة الأدب الجديدة التي امتزجت مع اللغة الرّقمية.

وهذه الانعكاسات السلبية التي تفرض نفسها على عملية تشكيل اللغة في الأدب الرّقمي، لا تلغي الجوانب الإيجابية التي، بلا شك، هي حاضرة لأن المكون الأساس للنص الرّقمي هو اللغة، والوسائط المتعددة هي مكملات للمعنى الذي تخلقه اللغة، وهذا يعني أن الوسائط هي وسائل تكميلية أو تجميلية للنص، لا تضعف اللغة وإنما تزيد من قدرتها على التأثير في المتلقي، وتحقيق الغرض المعد أصلا في المعنى المقدم للمتلقي بوساطة اللغة.

وفي ظل هذا التسارع الهائل في عملية الدمج بين اللغة العربية والوسائط المتعدّدة، فإن الأمر يتطلب متابعة ذوي الاختصاص ومجامع اللغة العربية لهدا الواقع الجديد الذي أخذ يفرض نفسه على اللغة أولا والمتلقين ثانيا.

مراجعات
في الكتب

ENGLISH SECTION